الدرس الأول: -تعريف النحو: لغة واصطلاحاً، واضعه، أسباب نشأته.

-تعريف النحو:

لغة: تطلق كلمة النحو في اللغة العربية على عدة معان، منها:

-القصد: تقول: نحا نحوَه أي قصده.

-الجهة: تقول: ذهبتُ نحو فلان، أي جهته.

-الشبه والمثل: تقول: محمد نحوُ علي: شَبَهُه ومثله.

-الطريقة والطريقة والمنهج: تقول: على نحو ما، أي على طريق معيّن.

وعلى هذا النحو، أي على هذه الطريقة.

وقد نظّم الداودي معاني النحو اللغوية في بيتين له فقال :

لِلنَّحْوِ سَبْعُ مَعَانٍ قَدْ أَتَتْ لُغَةً جَمَعْتُهَا ضِمْنَ بَيْتٍ مُفْرَدٍ كَمُلاَ

قَصْدٌ وَمِثْلٌ وَمِقْدَارٌ وَنَاحِيَةٌ نَوْعٌ وَبَعْضٌ وَحَرْفٌ فَاحْفَظِ الْمَثَلاَ

المعاني الاصطلاحية للنحو:

مر مصطلح النحو بمراحل كان يأخذ في كل منها معنى معينا ، ففي المرحلة الأولى كان مصطلح النحو عاما يطلق على كل الدراسات اللغوية ، وهذا المعنى لمصطلح النحو بقي إلى زماننا هذا ، فعندما يطلق هذا المصطلح غير مقيّد بقرينة ما ، يراد به هذا المعنى العام. أي الدراسات المتعلقة باللسان العربي ، من جانبيه التركيبي والإفرادي ، ولا نقصد به دراسة التراكيب والصيغ ، أو التراكيب وحدها .

أما المعنى الثاني لمصطلح النحو فقد تحدد عند شيوخ سيبويه ، وتبلور أكثر في كتابه ، ففي هذا العصر انقسم علماء اللغة قسمين : قسم اهتم بجمع اللغة وترتيبها وتصنيفها ، وسُمّي هذا القسم باللغويين ، وكان شيخَهم أبو عمرو بن العلاء ، ثم تلامذته الثلاثة : الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري . وقسم اهتمّ بتحليل هذه المدونة من النواحي الصوتية والصرفية والتركيبية ، وسمّوا بالنحاة . وتبدأ هذه المدرسة بعبد الله بن أبي

إسحاق الحضرمي ، مرورا بعيسى بن عمر الثقفي ، ووصولا إلى الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه. وفي هذه المرحلة أصبح مصطلح النحو يطلق على الدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية، أو ما كان يسميه بعضهم بعلم العربية ، وهذا نجده واضحا في كتاب سيبويه.

والمعنى الثالث الذي استقرّ عليه مصطلح النحو هو الدراسة التركيبية خاصة. ويعتبر أبو عثمان المازني تلميذ الأخفش الأوسط . بحق . أول نحوي حول محاولة ناجحة في هذا المضمار ، حيث عمد إلى كتاب سيبويه فاستخرج منه الدراسات الصرفية ووضعها في كتاب سماه (التصريف) ، هذا الذي شرحه فيما بعد ابن جني في كتابه المسمى (المنصف في شرح التصريف) . وبعد هذا العصر بزمن طويل أصبح مصطلح النحو إذا أطلق مع غيره من مصطلحات الدراسات اللغوية قصد به الدراسات التركيبية فقط . فقد عُرّف بأنه "العلم بالقواعد التي يُعرف بها أحكام أواخر الكلمات العربية في حال تركيبها من إعراب وبناء وما يتبع ذلك". وبعبارة أخرى فعلم النحو يهتم بدراسة أحوال الكلمة العربية عندما تدخل في التركيب.

واضع علم النحو:

المشهور أنّ أول واضع لعلم النحو هو أبو الأسود الدؤلي (ت69) بأمر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وفي هذا الصدد ينقل ابن الأنباري في كتابه "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" خبرا مفاده أن علي بن أبي طالب دفع إلى أبي الأسود رقعة فيها: "الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما أفاد معنى." ثم قال: "انحُ هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك... ثم قال: فوضعتُ بابي العطف والنعت، ثم بابي التعجّب والاستفهام، إلى أن وصلتُ إلى باب "إنّ وأخواتها" ماخلا "لكن"، فلما عرضتُها على علي أمرني بضم "لكن" إليها. وكنتُ كلما وضعتُ باباً من أبواب النحو عرضتُه عليه إلى أن حصّلتُ ما فيه الكفاية. قال: ما أحسن هذا النحوَ الذي نحوتَ، فلذلك سُمّي نحواً".

أسباب نشأة النحو:

تكاد تُجمع الروايات التي روت لنا أسباب نشأة النحو العربي على أنّ السبب الرئيس والأول هو ظهور اللحن على ألسنة الفصحاء، بعيد الفتوحات الإسلامية، وذلك بسبب اختلاط العرب الفصحاء بالأعاجم. يقول في هذا المعنى أبو بكر الزبيدي: "ولم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس في أفواجا، وأقبلوا إليه إرسالا، واجتمعت فيه الألسن المتفرّقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة والعربية، واستبان منه في الإعراب الذي هو حليّها والموضح لمعانيها، فتفطّن لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظُم الإشفلق من فشوّ ذلك وغلبته، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أن سبّبوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه."

وكان مما ذكر الزبيدي في هذا السياق أنّ الذي أوجب على أبي الأسود الوضع في النحو أنّ ابنته قعدت معه في يوم قائظ شديد، فأرادت التعجب من شدة الحر فقالت: ما أشدُّ الحر. فقال أبوها: القيض، وهو ما نحن فيه يا بُنية، جواباً عن كلامها لأنه استفهام،فتحيّرت وظهر لها خطؤها، فعلم أبو الأسود أنها أرادت التعجب فقال لها: قولي يا بُنية: ما أشدَّ الحر."

وهكذا أدرك أبو الأسود الخللَ في كلامها لما ربط الأثر الإعرابي بالمعنى، فالجملة الأولى استفهامية، أما الثانية فتعجّبية.